# اللغة العربية

## « في دولة الترك العثمانيين »

### « تعليق على رسالة ( التنبيه[1] ) بقلم ناشرها »

لا يخفى ان علماء الترك في الدولة العثمانية قبل عصرها الاخير كانوا — كسائر علماء الدول التركية التي قامت في العصور الاسلامية الاولى — يدرسون اللغة العربية . ويتكلمون بها . ويضعون فيها المصنفات النفيسة في العلوم المختلفة . بل ان منهم من ألّف كتباً في متن اللغة العربية : كالفيروزابادي صاحب القاموس ( المتوفى سنة ٨١٦ ﻫ ) ومنهم من ألّف في قواعدها ونحوها وصرفها وأشهرهم في ذلك الشيخ البركوي ( المتوفى سنة ٩٨١ ﻫ ) . اما الذين ألّفوا في الفنون المختلفة باللغة العربية فلا يحصون كثرةً : منهم ابو السعود والفناري والملاّ خسرو والجامي والخيالي وخوجه زاده وحاجي خليفه وطاشكبري وابن كمال باشا ( صاحب رسالة التنبيه ) وغيرهم . ولم تضعف عناية علماء الترك باللغة العربية و ضعفوا ملكة التكلم بها والمقدرة على التصنيف فيها الا بعد ان زاحمتها اللغة التركية في العصر الاخير الذي قام على رأسه السلطان محمود الثاني وابنه السلطان عبد المجيد الاول واضع ( التنظيمات الخيرية ) وكان من آثار ذلك تنشيط اللغة التركية وتقريب قواعدها وتسميتها ( اللغة العثمانية ) وبذلك تضاءلت اللغة العربية . وأُهمل التصنيف فيها . حتى آل الامر في الأزمنة المتأخرة الى صعوبة وجود عالم تركي يحسن التكلم باللغة العربية و يُجيد الإنشاء فيها . اللهم الا اذا أقام عدة سنين في البلاد العربية . ولم يكن الحال كذلك في القرون التي سبقت عهد السلطان محمود كما ذكرنا آنفاً : فان علماء الترك قبله كانوا يُجيدون العربية تكلماً وكتابةً مع انهم لم يزوروا البلاد العربية ولم يخالطوا أهلها .

ولم تقتصر العناية باللغة العربية على العلماء فقط بل كان ملوك العثمانيين انفسهم يتعلمون العربية وآدابها كما يتعلمون التركية وآدابها . ومنهم من كان يمارس نظم الشعر

(١) لابن كمال باشا التي نشرت تباعاً في هذه المجلة ( جزء ١ و ٢ و ٣ و ٤ ) .

فيها • وقد رؤي بخط السلطان سليم الأول بيتان من الشعر مكتوبان على مقياس النيل وهما :

( الملك لله من يظفر بنيل مُنى يَرُدُّه قسراً ويضمن بعده الدَرَكا )
( لو كان لي او لغيري قدر أنملة فوق البسيطة كان الامر مشتركا )

فإذا كان هو ناظم البيتين كان على جانب عظيم من معرفة اللغة العربية وتذوّق آدابها • وان لم يكن هو ناظمها كما قيل كان حفظه لها وتمثله بها وكتابته لها حيث وُجدا — آيةً على مشاركته في آداب العربية وحسن ذوقه في اختيار الجيد من شعر العرب•

أما السلطان احمد الاول فانه كان ينظم الشعر العربي الجيد ومما نسب اليه منه القصيدة التي مطلعها :

( ظبيٌ يصول ولا وصول اليه جَرَحَ الفؤاد بصارمي لحظيه )

الى أن يقول :

( يا شعر في بصري ولا في خدّه إني أغار من النسيم عليه )

ويُروى عن السلطان محمد الفاتح انه بينا كان قافلاً من بعض حروبه في (الروم ايلي) خطر له بيت من الشعر العربي فأحب الوقوف على معناه • فالتفت الى احد قضاة عسكره وهو المولى محيي الدين الشهير بابن مغنيسا فسأله عن البيت فقال :

— أتفكر فيه بالمنزل ثم أجيب • فقال السلطان :

— يُحتاج الى فكر في بيت واحد ؟ •

فسكت القاضي • وقال السلطان لبعض خدمه أحضر مولانا سراج الدين ( موقّع الديوان العالي ) فحضر فسأله عن ذلك البيت فأجاب على الفور : هو للشاعر الفلاني من قصيدته الفلانية من البحر الفلاني ثم قرأ سباق البيت وسياقه وحقق معناه • فالتفت السلطان اذ ذاك الى ( ابن مغنيسا ) وقال له : ينبغي ان يكون العالم هكذا في العلم والمعرفة والتتبع • ثم عزله عن قضاء العسكر • وأعاده الى التدريس في احدى ( المدارس الثمان ) وقال : انه ما زال في حاجة الى التدريس •

وكان المولى ( سراج الدين ) المذكور من مدرسي ( المدارس الثمان ) ماهراً

في حفظ قصائد العرب · وله اليد الطولى في نظم الشعر العربي · ومن ثم جعله السلطان محمد موقعاً بالديوان العالي لمهارته في إنشاء الرسائل ·

ومن البارعين في اللغة العربية نظماً ونثراً المولى علاء الدين المشهور بجناوي زاده (المتوفى سنة ٩٧٩ هـ) تقلب في الوظائف العلمية ومنها قضاء دمشق الشام الى ان بلغ رتبة قاضي عسكر اناطول · وله مصنفات في اللغة العربية والعلوم الاسلامية غاية في الإمتاع والفائدة : منها كتاب (الإسعاف في علم الاوقاف) وحاشية على كافية الجامي في النحو · وأخرى على (الدرر والغرر) · ولما كان في دمشق جرت بينه وبين البدر الغزي مناظرة فوضع (حناوي زاده) على أثرها كتاباً في علم التفسير · وله شعر رقيق منه البيتان المشهوران :

(أرى في صدغك المعوج دالاً ولكن نُقّطت من مسك خالك)
(فأصبح داله بالنقط ذالاً وها أنا هالك من أجل ذالك)

والمصنفات باللغة العربية التي ألفها علماء الترك ووصلت الينا كثيرة جداً يتكوّن من مجموعها مكتبة كبرى في مختلف الفنون · وهي دليل على ان اللغة العربية كانت لغة الخواص والمؤلفين في عصور الدولة العثمانية كاللغة اللاتينية عند الافرنج · وربما كانت (اي اللغة العربية) تشارك أختها اللغة التركية الرسمية في الدواوين والمصالح العامة · وقد يستدل على ذلك بما مرّ من حكاية السلطان محمد الفاتح مع المولى سراج الدين الذي كان بارعاً في الآداب العربية ولذلك عينه السلطان موقعاً في ديوانه العالي · وليس ذلك الا لإجادته اللغة العربية ومقدرته على إنشاء الرسائل · كذا قالوا في ترجمته · وسياق كلامهم يقتضي ان تكون هذه الرسائل التي كان ماهراً بانشائها رسائل عربية العبارة · ولقد أخبرني بعض أفاضل العرب ممن أقاموا طويلاً في باب المشيخة الاسلامية انه كان يطلع على صكوك ووثائق وبراآت باللغة العربية صادرة في زمن الملوك العثمانيين الأولين · فسألته وهل كنت ترى وثائق وصكوكاً أخرى باللغة التركية · قال بالطبع اننا كنا نطلع على وثائق باللغتين · اذن كانت اللغة العربية تزاحم التركية في فروق أشد المزاحمة او بعضها ·

وهل يتصوّر ان تكتب صكوك في القضايا الشرعية التي تقع بين عامة الاتراك

وتتداولها ايديهم ثم لا يكونون يفهمون اللغة العربية ويتكلمون بها اكي يفهموا مضمون تلك الصكوك والوثائق ؟ .

هذا ما نريد ان نستدل عليه ايضاً من رسالة ( التنبيه على غلط الجاهل والنبيه ) لابن كمال باشا . وقد نشرناها في هذه المجلة فان مؤلف هذه الرسالة انما يصحح ألفاظاً كان يخطيء في النطق بها الشعب التركي الذي كان يسكن الروم ايلي والاناطول في عهد سلاطين آل عثمان الاولين ( اي في القرن الثامن والتاسع والعاشر للهجرة ) والاخير منها عصر المؤلف . ومن قرأ هذه الرسالة وتتبع الالفاظ العربية التي خطأ المؤلف الناطقين بها حكم انهم انما كانوا يتكلمون لغة عربية تخللتها هذه الألفاظ كما يتكلمون لغتهم الخاصة أعني اللغة التركية . وان اللغتين كانتا تقريباً لغة التخاطب بين اهل ذلك العصر ولولا ذلك لما قام ابن كمال باشا يتقصى أغلاطهم واحدةً واحدةً ويجمعها في رسالة ثم يصححها بمقتضى قوانين اللغة العربية والقواعد الصرفية .

لا يقال : ان ابن كمال باشا انما صحح في رسالته الاغلاط العربية الفاشية في كلام خواص الاتراك وعلمائهم لا عامتهم — لا يقال ذلك لان مؤلف الرسالة صرّح بانه يصحح في رسالته أغلاط عامة أهل زمانه كما يصحح أغلاط خاصتهم ولهذا سمى رسالته ( التنبيه على غلط الجاهل والنبيه ) وليس يعني بالجاهل الا العامي كما لا يخفى . وقال في مقدمة الرسالة مانصه : ( فحصل لي ما أربى على مئة لفظ من السقط . بعضها للخاصة وبعضها للعامة فقط ) . وقال ايضاً في تضاعيف الرسالة مالفظه : ( وقد شاع هذا الغلط بين البنين حتى كاد لا يتحاشى عنه الخواص ايضاً لاعتياد الألسن الخ ) .

ونقول ايضاً في دفع اعتراض آخر : انه من المستبعد ان يقوم ( ابن كمال باشا ) فيصحح أغلاطاً لغوية يخطيء بها أبناء العرب المقيمين في الاقطار العربية البعيدة عنه . فان ذلك فضول منه واشتغال بما لا يعني ولا يفيد . كما اذا قام مجمعنا العلمي بدمشق فحشر في مقالات ( عثرات الأقلام ) التي يصحح بها أغلاط الكتاب السوريين — كلمات تعثر بها أقلام التونسيين او المراكشيين مثلاً . ومن جملة ماصححه ابن كمال باشا في رسالته من الأغلاط كلمة ( ابي أيوب ) الانصاري قال : ان العوام يقولون ( أيوب ) مكان ( ابو أيوب ) زعماً منهم ان ( ايوب ) اسم له . وهذا بالطبع لا يخطيء

به سكان البلاد العربية وانما هو خاص باتراك الاستانة الذين يقولون الى اليوم (جامع السلطان أيوب) على عادتهم في اختصار الاعلام مذ يقولون : (سلطان مجيد . وسلطان حميد) مكان (عبد المجيد وعبد الحميد) .

ونقول ايضاً في جواب اعتراض ثالث : ان ابن كمال باشا لم يتوطن في البلاد العربية حتى يصحح على اهلها اغلاطهم : فقد ذكروا في ترجمته انه اول ما استخدم في الجيش ثم انتقل الى السلك العلمي وجعل يحصل العلوم الاسلامية على أساتذتها . ولما تأهل للتدريس عُيّن في مدارس أدرنة واسكوب في الروملي ثم في إحدى (المدارس الثمان) في القسطنطينية ثم تولى قضاء ادرنة ثم قضاء عسكر اناطول ثم رجع الى التدريس في أدرنة ثم تولى الافتاء العام (اي مشيخة الاسلام) في القسطنطينية . ومات فيها سنة (٩٤٠ هـ) فلم يذكروا انه أقام في بلاد عربية إقامة يصح له فيها ان يتصدى لتصحيح أغلاط اهلها .

ومن المستبعد ايضاً (وهو جواب اعتراض رابع) ان يكون ابن كمال باشا انما صحح كلمات عربية اقتبسها الاتراك واستعملوها في لغتهم التركية التي كانت ولا تزال مشوبة بكلمات عربية فكانوا ينطقون بها مغلوطة فصححها عليهم . وهذا الاعتراض أعرق في الوهم من غيره : لان الكلمات اذا انتقلت من لغة الى لغة أصبحت ملكاً للذين انتقلت الى لغتهم : فهم ينطقون بها بحسب قوالب لسانهم . وما تقتضيه لهجاتهم وأساليبهم : فكلمة (عِشْق) مثلاً هي في اللغة العربية مكسورة العين و ينطقها الاتراك اليوم مفتوحة العين (عَشق) فمن الفُضول ان نتصدى الى نقدهم فنقول لهم انكم تلفظونها غلطاً فالواجب عليكم ان تكسروا عينها لان صوابها في اللغة العربية كذلك وان العرب هكذا ينطقونها . وهذا كما اذا عمد احد علماء الفرس الى الكلمات الفارسية الدخيلة في لغتنا العربية وقد حرّفناها وتدّعنا بها حتى وافقت ألسنتنا وقوالب لغتنا — فجمعها في كتاب وردّها الى اصولها الاعجمية وكلفنا معشر العرب ان ننطق بها كما ينطقها الفرس : فنقول للجاموس (كاوموش) و للفيل (پيل) وللفلفل (پلپل) وللفنجان (پنكان) وللكعك (كاك) وللسرج (سرك) وللسكر (شكر) وللخورنق (خورنكاه) وللخشاف (خوش آب) وللبابوج (باي بوش) ولكلمة ضنك بمعنى ضيق (تنك) وهكذا :

فكما انه لا يجوز للعالم الفارسي ان يلومنا على نطقنا بهذه الكلمات كما ننطق بها اليوم ولا يعدّه علينا غلطاً — كذلك لا يعقل ان يقوم ابن كمال باشا فيخطّئ أبناء لغته الاتراك في كلمات عربية أفرغوها في قوالب لغتهم التركية ليتسنى لهم ان ينطقوا بها بسهولة ·

فالذي نراه ان ( ابن كمال باشا ) انما يخطّئ في رسالته أتراكاً من أهل زمانه يتكلمون العربية كما يتكلمون لغتهم التركية · وكيف يُتصوّر ان لا يكون متكلماً بالعربية من ينطق بمثل هذه الكلمات :

( إناث ) ( برتة ) ( بزاق ) ( ابن ) ( ثقل ) ( ثيّب ) ( مستحكم ) ( حانث ) ( خجل ) ( خشن ) ( نُزُل ) ( دأب ) ( أدوية ) ( النكات ) ( القوابل ) ( مرضع ) ( سكّر ) ( تسلّي ) ( لُكْنة ) في نظير ذلك وكله مما له في لغة الترك مرادف شائع بينهم · لا سيما ان منها ما هو واقع في تراكيب عربية محضة كالتركيب الاضافي والتركيب الوصفي فيقولون ( سلس البول ) ( حباب الماء ) ( عِرق النسا ) ( نقيب الأشراف ) ( الحق السابق ) ( الاشتهار الكاذب ) ( الإنعام العالي ) بل نقل المؤلف في رسالته عن عوام زمانه انهم يتكلمون جملاً عربية مركبة تركيباً اسنادياً فيقولون :

( أذعنتُ ) ( الأمر مبتني على كذا ) ( فلان مرتبط بكذا ) ( هو قابل ) ( هؤلاء قوابل ) ( فلان توأمان فلان ) ( فلان مزبد للبلغم ) ( ضربُ اليتيم مظلمة ) ( فلان به نزلة ) ( فلان من منسوبات فلان ) ( هو من قبيل سبقة اللسان ) ( لا يبعد من ألطاف مولانا وأعطافه ) وغير ذلك من الجمل والتراكيب العربية المحضة مما لا يمكن ان تقع الا في كلام قوم يتخاطبون باللغة العربية وان المؤلف كان يسمع ذلك منهم فخطأهم فيه وصححه عليهم ·

فتحصّل معنا أن التكلم باللغة العربية في عصور الدولة العثمانية الاولى لم يكن مقصوراً على خواص الترك كما كنا نظن من قبل بل قد يكون عاماً فيهم عمومه بين خاصتهم · وبالطبع لم تكن اللغة العربية وحدها هي التي يتكلمون بها بل كانت اللغة التركية ايضاً تشغل الجانب الاعظم من حديثهم · والقسم المهم من كلامهم · لكننا لا ندري ما هي وظيفة كل من اللغتين في ذلك المحيط الاجتماعي · وفي أية دائرة او مصلحة كانت تستعمل هذه اللغة او تستعمل تلك ؟ وكل ما امكننا إثباته هنا ان

لغتنا العربية كانت مما يتخاطب به خواص الأتراك وعوامهم في عصر ابن كمال باشا ٠ وقد انتبهنا الى هذا من رسالته (التنبيه) التي صححناها ونشرناها ٠ ثم رأينا ان نزيدها خدمةً وإيضاحاً بهذا التعليق ٠

المغربي

## الفاظ عربية لمعان زراعية

— ٣ —

للعنب بعد ان يُحصرِم وقبل ان يينع حالة يلين فيها بعض اللين و يزداد فيه السكر وتقل الحوامض وتصفو القشرة في الحب الابيض وتأخذ تلوّن في الاسود ٠ فكرّامو بلادنا يقولون صار العنب « زرّوقة » و يسمي الفرنسيون هذه الحالة ( Véraison ) والعرب تقول ارقَ العنبُ وألمص اذا صار « زرّوقة » وكذا أوشم للعنب الذي يلوّن ٠

واذا قطفتْ أغصانُ الشجر لاسيما الكروم سال منها نسغها وهو ما يسمى بالفرنسية ( Pleurs ) اي الدموع وهو بالعربية الدمّاع ٠ والتوحيم ان ينطف الماء من العود النامي اذا كسر ٠ واكثر مايكون سيلان الدمّاع في الربيع بعد ان تدب الحياة في النبات على اثر نوم الشتاء ٠ و بينما اكتب هذا المقال في اواسط آذار اراه يهوي نقطة اثر نقطة من قضبان الجفنة في حديقة البيت لانني قضبتها منذ بضعة ايام ٠

و بعض الاشجار اذا لم تقضّب لاسيما اذا كانت مغروسة في ارض غنية بالعناصر النيتروجينية تتفتح براعمها وتنكشف عن افنان ربّا واوراق غضة لكن الثمر يظل قليلاً ٠ و يحدث ذلك ايضاً في الزرع في الارض نفسها ٠ ففي هذه الحال يقال للشجرة قد أعْصَت اي اخرجت عيدانها ولم تثمر كما جاء في الامهات وهو بالفرنسية ( Partir en bois ) ولدى فلاحي بلادنا ( هافت الشجرة وهاف الزرع ) ٠

ومن المعلوم ان البرّة اذا ما انتشت ينفطر التراب عن ساق واحدة بادئ بدء لكن التربة اذا كانت غنية وكانت السنة مطاراً يتولد على تلك الساق في الربيع اصول جديدة وسوق عدة تنتهي كل منها بسنبلة ٠ فاذا توالد الزرع على هذا الشكل

فقد فرَّخ وأفرخ وأشطأ و بالفرنسية ( Taller ) والفرخ يسمى ( Talle ) وهو ايضاً الشطء والوالبة ( من ولب الزرعُ نبتت له فراخ في اصوله ) ٠

وعصفتُ الزرعَ مثل شرنقته ( انظر المقال الأول ) اي صرمته مخافة الضجعان او الغَمَل ( Verse ) وهو استلقاؤه من فرط العناصر الغذائية في التراب ٠

واذا صُرم الزرع فكل قبضة من الزرع المحصود تسمى الغَبْط ( ج غبوط ) والكُدْرَة ( ج الكُدَر ) وهي بالفرنسية ( Javelle ) ٠ واذا رُفعت الغبوط وكُدِّست بعضها فوق بعض فكل واحدة منهما هي العامّة و بالفرنسية ( Gerbe ) ما لم تكن كبيرة فهي اذن الكُدَاسة والكُدس ( Moyette ) اما الكُدوس العظام فهي العَرَم و بالفرنسية ( Meule ) والفعل عرَّمَ ٠ واكثر ما تستعمل الأكداس للحب بعد دوسه او دقه ٠

وقلت في المقال السابق ان الشوف آلة تسوى بها الارض المحروثة وقلت انني لم ار اصلح من هذه الكلمة للدلالة على آلات زراعية يسميها الفرنسيون ( Rouleaux ) تستعمل للغرض نفسه ٠ وقد عثرتُ اخيراً على الفاظ ترجح على الشوف في ترجمة الأدوات الزراعية المذكورة وهي الملاسَّات والمِلْاسات فقد جاء في الأساس ان الملاسة خشبة تُمَلَّس بها الارض ٠ وكذا المالَق فعبارة اللسان « هي الخشبة العريضة التي تشد بالحبال الى الثورين فيقوم عليها الرجل و يجرها الثوران » ٠ وعبارة القاموس « ما يُملَّس به الحارث الارض المثارة » ٠

ونشر العلامة ( محقق ) في الصفحة ٥٠٧ وما يليها من المجلد الخامس مقالة ممتعة في ( الذؤنون ) فقال ان من جملة معانيه الدلالة على النبات المسمى ( Phelipœa lutea ) فالاستاذ قد اصاب بذلك وان كان لم يذكر لنا انه رأى هذا النبات نفسه وعرف اسمه باللاتينية على اثر درس نباتي ٠ قلت ان الاستاذ اصاب لان العلامة النباتي الدكتور بوست ذكر لهذا النبات في الصفحة ٦٠٣ من كتابه بالانكليزية ( نبات سورية وفلسطين و بواديها ) بضعة اسماء عربية فصيحة وعامية منها الهالوك ( Halûq ) والذؤنون ( Danûn ) والطرثوث ( Teraţihith ) ٠ وطريقة الدكتور بوست وامثاله في جمع النبات النقاط النبتة ثم تعيين فصيلتها وجنسها ونوعها حتى اذا ظهر اسمها

اللاتيني مثل الاشخاص الذين يقطنون المكان الذي وجدت فيه عن اسمها لغيبهم · ولهذا لم يبق لديّ شك في صحة تسمية النبات المذكور بالذؤنون بعد تحقيق العلاَّمة (محقق) البليغ من الوجهة اللغوية · ولقد ذكرتُ هذا النبات دون غيره مما يصح اطلاق اسم الذؤنون عليه لانني أحويه في مجموعة النبات التي لدي مع بضعة نباتات من فصيلته لاسيما من جنس ( Orobanche ) وكلها طفيلية تضر بالشجر وبكثير من الزروع ولا يجهلها فلاحو بلادنا · وكنت أُسميها باسمائها العامية ( جعفير وهالوك في الشام وحامول في مصر ) حتى هداني الاستاذ في مقاله الى لفظ فصيح ·

واذا اكثر الزراع من البذار في الارض ظهر الزرع ملتفاً متكادساً فيسمى « الزرع المتآصر » و بالعامية الزرع « العبي » و بالفرنسية ( Dru ) ·

ويعلم الأكارون الذين لديهم ارض منخفضة ان المطر اذا ثرَّاها ودام اياماً يصفر زرعها وسببه اختناق اصول الزرع لفقد الاوكسجين من غزارة الماء · ويقول فلاحو الشام عند حصول هذا الداء ان الزرع قد غرق ويسميه الفرنسيون Asphyxie ( des racines ) اي اختناق جذور الزرع او عروقه او اصوله · وهو بالعربية الرَّصَع والبَثَق فقد جاء في المخصص لابن سيده ان « الرصع هو ان يكثر على الزرع الماء وهو صغير فيصفر ولا يُجدِّد ولا يتريش ويصغر حبه » وجاء « البثق داء يصيب الزرع عن كثرة ماء السماء » فنرى ان اللفظين يصلحان للدلالة على اختناق جذور الزروع ·

واصطُلح على تسمية صغار الشجر بالأنجم مفردها نجم و بالفرنسية ( Arbuste ) على حين ان النجم في كتب اللغة ما طلع من النبات على غير ساق خلاف الشجر · اما صغار الشجر فلا بد ان يكون لها ساق غليظة فيما نعرفه منها في بلادنا وهذا لعل لفظ العَرَمض ( واحدتها عرمضة ) يصلح للدلالة عليها لان من معانيه كل شجر لا يعظم ابداً ·

مصطفى الشهابي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com